العنف الرمزي لتكنولوجيا الإعلام والاتصال من منظور عالم الاجتماع بيار بورديو

(تكنولوجيا التلفزيون نموذجا)

The symbolic violence of information and communication technology from the perspective of sociologist "Pierre Bourdieu" (TV technology as a model)"

د/ سلامي اسعيداني *

د/ ليلى فقيري *

الملـخص:

يذهب بيير بورديو أن تحليل بنية وآليات أحد منتجات التكنولوجيا الحديثة التي تعرف بتكنولوجيا الإعلام والاتصال، في الوقت نفسه يرى أن علاقة الإيديولوجيا بهذه التكنولوجيا من خلال التوظيف والمضمون الإيديولوجي لهذه التكنولوجيا يجد أوضح مثال له في الدور الذي يلعبه التلفزيون لا يقتصر الدور الخطير الذي يلعبه التلفزيون على التأثير المباشر على المشاهدين ولكن هذا التأثير يمتد كما يوضح بورديو إلى مجالات الإنتاج الثقافي الأخرى وهو ما ينبّه إلى خطورته بشكل خاص.

– **الكلمات المفتاحية:** العنف/ الرمزية، التكنولوجيا/ الإعلام/ الاتصال/ التلفزيون.

Abstract

In analyzing the structure and mechanisms of one product of modern technology which is also known as information and communication technologies, Pierre Bourdieu argues that the relationship between ideology and this technology, through employment and the ideological content of the former (technology), is the clearest example of the role played by television. Indeed, the dangerous role played by television in direct impact on viewers is not limited to the viewer's only, but this impact is extended to other areas of cultural products, which is particularly alarming as Bourdieu pretends.

-Keywords: Violence /Symbolism / Technolgy /Communication/ Television

مقدمة:

* - أستاذ محاضر – جامعة محمد بوضياف –المسيلة–الجزائر/ salami.saidani@univ-msila.dz

* - أستاذ محاضر – جامعة محمد بوضياف –المسيلة–الجزائر/ leila.feguri@univ-msila.dz

في العصر الحديث كثر على منصات الحوار العالمية التكلم في إشكاليات عالمية أبزرها(نهاية الايديولوجيات) و(نهاية التاريخ)، كما تم الترويج لنظرية صموئيل هنتنجتون المعروفة (بصدام الحضارات) ...الخ. ولكن الشيء المثير للدهشة والتعجب أن هذه المقولات التي روّج لها كثيراً في أوساط المثقفين ووسائل الإعلام خصوصاً بعد انهيار سور برلين والتحولات السريعة والعنيفة التي شهدتها دول شرق أوروبا، مروراً بحرب الخليج الأولى ثم أحداث الحادي عشر من سبتمبر وما تلاها من حرب واحتلال لأفغانستان والعراق، هي فيحد ذاتها تعبير عن أيديولوجيا تدّعي السيادة والانتصار على الأيديولوجيات الأخ.!أيديولوجيا تعبّر عن نزعات عنصرية وفاشية جديدة تمثل تهديداً حقيقياً للإنجازات الرائعة التي حققها الفكر الإنساني عبر مسيرته الطويلة. مما لا شك فيه أن المواجهات الأيديولوجية التي كانت سائدة طوال فترة الحرب الباردة قد انتهت بصورتها القديمة، أي المواجهة وجهاً لوجه وسيادة الخطاب الأيديولوجي المباشر. لكن التحول الجديد الذي طرأ خلال السنوات العشر الأخيرة من القرن المنصرم وحتى الآن هو انفراد ما يمكن أن نسميه بالأيديولوجيا الناعمة بموقع الصدارة في وسائل الإعلام المختلفة. (الأيديولوجيا الناعمة تتمثل في تلك الجرعات اليومية بل اللحظية التي تبثها وسائل الاعلام)

1. العنف بين الرمزي وغير الرمزي في البيئة الاجتماعية:

1.1. تعريف العنف:

أ–لغة: جاء في لسان العرب حول العنف: العنف، عنف، العنف: هو الاسم من العنف، وهو الشدة والقوة. وهو الخرق بالأمر وقلة الرفق به وهو ضد الرفق، أعنف الشيء أي أخذه بشدة.[1]

أما (عنّف، يُعنف، عنفاً) الرجل بغلامه أخذه بشدة ولم يرأف به، فهو عانف والغلان معنف، (عنف، يعنف، عنافة) الرجل كان شديدا قاسيا فهو عنيف، وعنف الرجل بغلامه أي كان عنيفا مع.[2]

ب–العنف في الأدبيات العلمية:

يعرف العنف بأنه ذلك السلوك المقترن باستخدام القوة الفيزيائية وهو ذلك الفيروس الحامل للقسوة والمانع للمودة، لم يكن العنف في يوم من الأيام، ولن يكون فطرياً بل كان دوماً خلقاً مكتسباً في النفس البشرية، فلم يكن الإنسان عنيفاً يوم ولدته أمه بل إن عنف الطبيعة، وعسر الحياة والتربية، وعنف الآباء هو الذي يغرس العنف في

خلايا الدماغ حتى حملته صبغياته الوراثية فكاد أن يكون موروثاً، ونظراً لاتساع جوانب العنف وأسبابه وأبعاده أخذ علماء الاجتماع في تقسيم الموضوع وتصنيفه إلى ثلاثة أنواع: هي العنف النفسي، والعنف اللفظي، والعنف الجسمي،. والعنف صورة من صور القصور الذهني حيال موقف، ودليل من دلائل النفس غير المطمئنة وصورة للخوف من الطرف الآخر مهما تعددت أشكال ذلك الخوف، وانعكاس للقلق وعدم الصبر والتوازن، ووجه من وجوه ضيق الصدر وقلة الحيلة ويعد مؤشراً لضعف الشخصية ونقصان في رباطة الجأش وتوازن السلوك. وأياً ما تكون العلة الفيسيولوجية أو البيئية فالعنف مرفوض حضارياً وأخلاقياً وسلوكياً واجتماعيا.[3]

2.1. العنف من وجهة نظر الوثائق الدولية:

1-تعريف العنف في وثيقة بكين 1995

جاء في البند 113 من معاهدة بيكين أن العنف هو : أي عمل من أعمال العنف القائم على الجندر يترتب عليه أو من المحتمل أن يترتب عليه أذى بدني أو جنسي أو نفسي أو معاناة للمرأة بما في ذلك التهديد بالقيام بأعمال من هذا القبيل أو الإكراه أو الحرمان التعسفي من الحرية سواء حدث ذلك في الحياة العامة أو الخاصة، وبناء على ذلك يشمل العنف ضد المرأة ما يلي؛ على سبيل المثال: أعمال العنف البدني والجنسي والنفسي التي تحدث في الأسرة بما في ذلك الضرب والاعتداء الجنسي على الأطفال الإناث في الأسرة المعيشية، وأعمال العنف المتعلقة بالبائنة، المهر، واغتصاب الزوجة، وختان الإناث، وغير ذلك من التقاليد الضارة بالمرأة، وأعمال العنف بين غير المتزوجين، وأعمال العنف المتعلقة بالاستغلال." [4]

2-تعريف العنف في تقرير اليونيسف 2000 :

جاء في "**تقرير اليونيسيف عن العنف المنزلي يونيو 2000**" وتحت عنوان "الاستغلال الجنسي والاغتصاب في العلاقات الحميمية:" "إن الاعتداء الجنسي والاغتصاب بين الأزواج لا يعد جريمة في معظم الدول، كما أن النساء في العديد من المجتمعات لا تعتبر الجنس الإجباري اغتصاباً إذا كانوا متزوجين أو يعيشون كالأزواج، المشكلة هنا أن المرأة بمجرد أن توقع على عقد الزواج فإن الزوج له الحق اللامحدود في الاتصال الجنسي مع زوجته؛ لذلك فإن بعض الدول قد اتجهت لسن تشريعات ضد الاغتصاب الزوجي، بالرغم من أن شروط بعض القوانين

تضمن إحداث تقدم، فإن تحقيق ذلك غالباً ما يكون صعباً على النساء لتجميع وحشد براهين و قوانين إثبات الجريمة".[5]

2. مدخل إلى تكنولوجيات الإعلام والاتصال:

1.2. تعريف تكنولوجيات الإعلام والاتصال

لقد أصبحت التكنولوجيا تلعب دورا مهما في النهوض باقتصاديات الكثير من الدول، يرجع أصل التكنولوجيا إلى الكلمة يونانية التي تتكون من مقطعين هما (Techno) تعني التشغيل الصناعي، والثاني (Logos)أي العلم أو المنهج، لذا تكون بكلمة واحدة هي علم التشغيل الصناعي. ويمكن تعريفها من جهة التحليل الاقتصادي بأنها "مجموعة المعارف والمهارات والخبرات الجديدة التي يمكن تحويلها إلى طرف إنتاج أو استعمالها في إنتاج سلع وخدمات وتسويقها وتوزيعها، أو استخدامها في توليد هياكل تنظيمية إنتاجية."[6]

كما يمكن تعريف التكنولوجيا على إنها: "تطبيق الإجراءات المستمدة من البحث العلمي والخبرات العلمية لحل المشكلات الواقعية، ولا تعني التكنولوجيا هنا الأدوات والمكائن فقط بل أنها الأسس النظرية والعلمية التي ترمي إلى تحسين الأداء البشري في الحركة التي تتناولها".[7]

إن مصطلح تكنولوجيا المعلومات والاتصال (TIC) ليس مفهوما وحيد المعنى والتخصص، فهو من اهتمامات عدة تخصصات: الرياضيات، الإعلام الآلي، الاتصال، الأدب، علم الاجتماع، علم النفس، هندسة الاتصالات، الفلسفة... الخ ولقد ظهر مفهومه الأصلي في الولايات المتحدة الأمريكية باسم "تكنولوجيات الإعلام" الناتجة عن دمج الحواسب بالخطوط الهاتفية وفي اليابان باسم الكمبيوتر والاتصال وفي بعض دول أوروبا (إسبانيا، فرنسا....) باسم الاتصال عن بعد والمعلوماتية بتأثر من علوم الإعلام شاع في أوروبا المصطلح الحالي.[8]

نقصد بتكنولوجيا الإعلام والاتصال، تلك التطورات التكنولوجيا في مجالات الاتصالات التي حدثت خلال الربع الأخير من القرن العشرين والتي اتسمت بالسرعة والانتشار والتأثيرات الممتدة من الرسالة إلى الوسيلة، إلى الجماهير داخل المجتمع الواحد أو بين المجتمعات، وهي تشمل ثلاثة مجالات أساسية هي:[9]

– ثورة المعلومات أو ذلك الانفجار المعرفي الضخم، المتمثل في الكم الهائل من المعرفة.

– ثورة وسائل الاتصال المتمثلة في تكنولوجيا الاتصال الحديثة، التي بدأت بالاتصالات السلكية واللاسلكية، وانتهت بالأقمار الصناعية والألياف البصرية.

– ثورة الحسابات الإلكتروني التي امتزجت بوسائل الاتصال واندمجت معها والانترنت أحسن مثال على ذلك.

إن ثورة تكنولوجيا الاتصال قد سارت على التوازي مع ثورة تكنولوجيا المعلومات، ولا يمكن الفصل بينهما فقد جمع بينهما النظام الرقمي، الذي تطورت إليه نظم الاتصال فترابطت شبكات الاتصال مع شبكات المعلومات.[10]

2.2. تطور تكنولوجيات الإعلام والاتصال

أولا. الهاتف والفاكس:

يمثل الهاتف من أهم وسائل الاتصال الصوتي ومن أقدمها وأكثرها انتشارا بين الناس، والهاتف ليس أداة للتواصل فقط لكنه أداة تلعب دورها في الإنتاج والتسويق وإيصال الخدمات للكثير من المؤسسات. وقد تطور الهاتف في حجمه وشكله ومزاياه وإمكاناته عدة مرات إلى أن وصل لهاتف النقال. من أحدث الابتكارات في عالم الاتصالات الهاتفية الهاتف الصوري أو الهاتف الفيديو الذي يستطيع نقل الصورة مع الصوت بسرعة هائلة، وهو مزود بذاكرة تؤهله لخزن الصور واسترجاعها عند الحاجة ومشاهدتها على الشاشة أو طباعتها على الورق. أما الفاكس فيشبه آلة التصوير الصغيرة متصلة بهاتف. فما على المرسل إلا أن يضع وثيقة في الجهاز، ثم يدير رقم هاتف جهاز فاكس المرسل إليه، وبمجرد أن يفتح الخط أو يتم الاتصال، تتحرك الأداة الفاحصة الإلكترونية في جهاز الإرسال وتحول الصفحة المرسلة إلى مجموعة من الإشارات الكهربائية الرقمية التي تنتقل عبر خط الهاتف إلى جهاز فاكس المستقبل الذي يعيد الإشارات الكهربائية الرقمية مرة أخرى إلى نسخة طبق الأصل من الوثيقة الأصلية ثم يطبعها.

ثانيا. الأقمار الصناعية:

تعتبر الأقمار الصناعية محطات تحويل فضائية لبث إشارات ترسل بواسطة المحطات الأرضية والتي تعمل أيضا على ربط شبكات الاتصالات الأرضية من خلال شبكات الهاتف. وقد أخذت الاتصالات الفضائية عبر الأقمار الصناعية دورا هاما في مجال نقل الرسائل والمعلومات بفضل فعاليتها وعدم تأثرها بالظروف المحيطة. ويمكن القول إن للاتصالات عبر الأقمار الصناعية فائدتين هما: إمكانية البث المتوافق، بحيث تستطيع كل محطة في الشبكة

أن ترتبط مع كل المحطات الأخرى في نفس الوقت. وإمكانية الوصول إلى أماكن بعيدة ودعمها للامركزية في أساليب جمع وتوزيع الرسائل والمعلومات. وقد فتحت الأقمار الصناعية الباب على خدمات جديدة من بينها توفير نوع من الاتصالات بين الإنسان والآلة، وبين الآلة والأخرى كما تحدث في عملية الاتصال بين الحواسيب. وتستخدم الأقمار الصناعية العديد من الوظائف مثل نقل الصوت والصورة والبيانات والوثائق والمؤتمرات البعدية (Télé Conferencing)والأرصاد الجوية، والاستشعار عن بعد، والبث التلفزيوني والخدمات الهاتفية وغيرها.[11]

ثالثا. تطور في البرامج: يعد هذا العنصر بمثابة الروح للجسد فدونها لا يمكن الاستفادة من العتاد التكنولوجي، فهي حلقة الوصل بين المستخدم والآلة أي أنها تساعد على حفظ المعلومات بنظام فهي: "مجموعة منفصلة من التعليمات والأوامر المعقدة والتي توجه المكونات المادية للحاسوب للعمل بطريقة معينة بغرض الحصول على النتائج المطلوبة ."[12]

رابعا. أنظمة التشغيل:

أنظمة التشغيل هي عبارة عن حزمة برامج تجعل جهاز الحاسب يعمل بشكل صحيح، يقوم باختبار الحاسب الآلي كيف يتعامل مع البرامج الأخرى في المكونات المادية على الجهاز. يقوم نظام التشغيل بدورين رئيسين: إدارة موارد المكونات المادية والبرمجية للحاسب. هذه المورد تضم المعالج، الذاكرة، الفرص، كما يعمل بطريقة فعالة لربط التطبيقات بالمكونات المادية دون معرفة تفاصيلها مما يسمح لمطوري البرامج كتابة تطبيقات تعمل على أكثر من جهاز .[13]

خامسا. البرامج الملحقة:

هي البرامج التي تؤدي وظائف محددة بناء على اهتمامات المستخدمين (مثل برامج الكتابة والطباعة، برامج المحاسبية، قواعد البيانات، الجرافيك والألعاب ومعالجة الصوت...) ومن أشهر البرامج:Microsoft office ، Adobe programme.

3. من هو العالم المفكر " بيار بورديو":

بيير بورديو (1 أوت 1930 – 23 جانفي 2002) عالم اجتماع فرنسي، أحد الفاعلين الأساسيين بالحياة الثقافية والفكرية بفرنسا، وأحد أبرز المراجع العالمية في علم الاجتماع المعاصر، بل إن فكره أحدث تأثيرا بالغا في العلوم الإنسانية والاجتماعية منذ منتصف الستينيات من القرن العشرين. بدأ نجمه يبزغ بين المتخصصين انطلاقًا من الستينيات بعد إصداره كتاب الورثة عام 1964 (مع جون-كلود پاسرون) وكتاب إعادة الإنتاج عام 1970

(مع المؤلِّف نفسه)، وخصوصا بعد صدور كتابه التمييز/التميز عام 1979. وازدادت شهرته في آخر حياته بخروجه في مظاهرات ووقوفه مع فئات المحتجّين والمضربين. اهتم بتناول أنماط السيطرة الاجتماعية بواسطة تحليل مادي للإنتاجات الثقافية يَكفُل إبراز آليات إعادة الإنتاج المتعلقة بالبنيات الاجتماعية، وذلك بواسطة علم اجتماعي كلي يستنفر كل العتاد المنهجي المتراكم في مختلف مجالات المعرفة عبر التخصصات المتعددة للكشف عن البنيات الخفية التي تُحدِّد أنماط الفاعلية على نحو ضروري، مِمّا جعل نُقّاده ينعتون اجتماعياته بالحتمانية، على الرغم من أنه ظل، عبر كتاباته وتدخلاته، يدفع عن تحليلاته مثل ذلك النعت. [14]

يعتبر المفكر الفرنسي الراحل بيير بورديو (1930-2002) من المفكرين البارزين في الساحة الفكرية الفرنسية والعالمية المعاصرة. من مؤلفاته نذكر:[15]

- سيسيولوجيا الجزائر (1961 / -الجزائريون (1962)/ -العمل والعمال في الجزائر (1963).
-نزع الجذور: أزمة الفلاحة التقليدية في الجزائر (1964)/ -الطلاب وتعليمهم (1964).
-الورثة، الطلاب والثقافة (1964)/ -حب الفن، المتاحف وجمهورها (1966).
-إعادة الإنتاج: في سبيل نظرية عامة لنسق التعليم (1970)/ -مختصر نظرية الممارسة (1972)،
-السيطرة الذكورية (2002)

وغيرها من الكتب الكثيرة التي تشكل في مجموعها إرثا نظريا وتطبيقيا مهمَا تركه بورديو خلفه للساحة الفكرية الإنسانية.

4. العنف الرمزي للتلفزيون عند بيار بورديو:

1.4. كيف يؤثر العنف التلفزيوني على المشاهد؟

أضحى للتلفزيون دوراً جوهري وأساسي في حياة البشر من خلال المتابعة اليومية لما يبث من خلاله من برامج وأخبار ومشاهدات مرغوب فيها وأخرى غير مرغوب فيها وما لبث وأن أطلق البعض على هذا الجهاز (بالضيف الاجباري). ومن غير المبالغ فيه أن نقول بأن التلفزيون يساهم بشكل مباشر أو غير مباشر في تربيتنا لأولادنا واعدادهم للمستقبل القادم وعلى هذا الصعيد أود أن أشير ألي سلسلة من الاليات التي تثبت أن التلفزيون يمارس نوعاً من (العنف الرمزي) المفسد والمؤذي. وأبرز مظاهر هذا العنف أن التلفزيون يملأ أوقات الناس بالأشياء غير الهامة وغير الضرورية وهو يستهلك زمنهم في قول أشياء تافهة تخفي في الحقيقة بالقدر نفسه الأشياء الثمينة، وبهذا المعني فان التلفزيون يسهم في تدمير الوعي حينما ينشر وعياً زائفاً أو يحجب المعلومات عبر لعبة اسميها (لعبة

المنع بواسطة العرض). اتضح أن هناك علاقة بين كثرة العنف في الإعلام وبين تأثيراته على الجمهور من خلال الآتي:[16]

–إن التلفزيون يشكل أداة لغرس وتنمية رؤية معينة وذلك بسبب تلك الرسائل التي تنطلق من التلفزيون الدراما، كوميديا والى آخره .

– لقد أكد وأشار المشاهدين الثقال (5 ساعات مشاهدة التلفزيون يوميا وأكثر) الواقع الذي يعيشونه كما يظهر في التلفزيون وقد اتضح أيضا أن إجاباتهم مسقاة من الواقع التلفزيوني لذا فهم يعتقدون أن العالم من حولهم هو الأكثر خطورة وأن هنالك احتمال كبير للعنف والأذى الشخصي وانه ينبغي على الإنسان أن يكون قويا ليحمي نفسه ويستطيع أن يتكيف مع المجتمع المخيف والعنيف بالمقابل نجد أن المشاهد الخفيف (4 ساعات أو أقل) يظهرون أكثر إنسانية وأقل قلقا ومخاوف على حياتهم.

– في المضامين غير عنيفة للتلفزيون نجد اختلافات بين المشاهد الخفيف وبين المشاهد الثقيل في رؤيتهم للواقع.

2.4. العنف الرمزي للتلفزيون عند عالم الاجتماع بيار بورديو–مقاربة نقدية:

أولا. نظرة بيير بورديو للتفاعل الرمزي التلفزيوني الاجتماعي:

إن الصورة التي يقدمها التلفزيون ويقوم بتضخيمها ويمنحها صفات درامية وتراجيدية، وانما يفعل ذلك باستخدام كلمات كبيرة فالكلمات المعتادة لا تثير دهشة أحد وبهذا تهيمن الكلمات على الصورة فالصورة لا تعني شيئاً دون التفسير للذي يجب أن تتم قراءته، فبيير بورديو ينظر إلى العنف الرمزي بأنه :" عبارة عن عنف لطيف وعذب، وغير محسوس، وهو غير مرئي بالنسبة لضحاياه أنفسهم، وهو عنف يمارس عبر الطرائق والوسائل الرمزية الخالصة، أي: عبر التواصل، وتلقين المعرفة، وعلى وجه الخصوص عبر عملية التعرف والاعتراف، أو على الحدود القصوى للمشاعر والحميميات".[17]

ينطلق بورديو من فكرة أن التلفزيون يشكل راهناً أداة للقمع الرمزي (نظراً للمستوى الثقافي أو المعرفي المتدنِّ للمشاهدين الذين يميلون إلى تصديق ما يعرض عليهم بعامة). وهو يأمل في أن يتحول التلفزيون إلى أداة للديموقراطية المباشرة لو تم رفع المستوى العلمي للمشاهدين وتقوية استقلالية التلفزيون عبر إدراك العوامل التي تعمل

على ضرب تلك الاستقلالية. والعوامل غير المرئية التي تُمارَس الرقابة من خلالها تجعل من التلفزيون أداة عظيمة لتثبيت النظام الرمزي (تواطؤ المتلقِّين والذين يمارسونه). وهكذا يغدو التلفزيون أداة لخلق الحقيقة وللتحكيم الاجتماعي والسياسي، وليس، كما يُدَّعى، أداة لتسجيل الواقع. وهو ليس ملائماً للتعبير عن الفكر أو الرأي؛ إذ يمنح أهمية للتفكير السريع وللغذاء الثقافي السريع المقترن بأفكار مسبقة. وحول هذا الموضوع يقدم بورديو أفكاراً للتحديد وللتحقق منها، بوصفها أموراً معقدة جداً لا يمكن معرفتها إلا من خلال عمل أمبيريقي مهم، ارتكازاً على ملاحظات من الواقع. كما ركز بيير بورديو على التلفزيون باعتباره أداة إعلامية خطيرة تمارس العنف ضد المواطنين، إذ تقدم لهم ما تشتهيه السلطة المهيمنة التي تستغل وسائل الإعلام لتحقيق مصالحها وأهدافها وأرباحها. ومن ثم، يتلاعب التلفزيون بعقول الناس، وينشر بينهم إيديولوجية الدولة المهيمنة، وأفكار الطبقة الحاكمة. وهذا يهدد الثقافة والفن والديمقراطية الحقيقية. وينطبق هذا الحكم نفسه على الصحافة التي صارت من الوسائل الخطيرة التي تشارك الفئات الحاكمة في ممارسة العنف الرمزي ضد الآخرين.[18]

ويبني بورديو نظريته على تجربة شخصية استطاع خلالها اكتشاف عمل المقدّم غير المثقف: «شاركت أكثر من مرة في مقابلات، أعدت خلال طرح السؤال على نفسي، حتى أتمكن من مقاربة الموضوع الذي يرغب المذيع في مناقشته. كنت أكرر للمقدم «سؤالك مهم بالتأكيد، لكني أعتقد أنه في هذه الحالة هناك ما هو أهم منه» ... وهو يكرّر شكواه من الصحافيين غير المثقفين الذين يذهبون لتغطية خبر معين، فيفاجئون برؤية أشياء غير مفاجئة أو العكس. فهم يسقطون رؤيتهم الخاصة على الحدث، علماً بأن علماء الاجتماع أنفسهم لا يستطيعون ادعاء ما يدعيه هؤلاء: «إن واحدة من أكبر المشاكل التي تعترض علماء الاجتماع، هي تجنبهم السقوط في أحد هذين الوهمين في معرض تحليلهم لظاهرة معينة: القول بأنها الأولى من نوعها، أو إنها تتكرر دائماً». وهذا ما يردده الصحافيون على الدوام «وهنا يكمن خطرهم، فهم غير مثقفين، ولا تعني لهم الظواهر الاجتماعية الحقيقية شيئاً». لكنهم رغم ذلك يمارسون تأثيراً كبيراً وسلطة مطلقة على مختلف الحقول الاجتماعية: السياسية والقضائية والنقابية وأحياناً على من هم أرفع مستوى منهم، وذلك بسبب احتكارهم لآليات إنتاج المعلومة ونشرها أو إضفاء الشرعية على الضيوف الذين يحظون بإطلالة متلفزة.[19]

غير أن الصحافي ليس وحده المسؤول بل «الحقل الصحافي» بكامله. ويرفض بورديو أي محاولة لتحليل سلوك صحافي معين أو وسيلة إعلامية محددة، بعيداً من زملائهما، «لا يمكن أن نفهم ما الذي يحدث في TF1

بمجرد القول إن شركة BOUYGUES هي من يملكها. هذا سبب لكنه ليس وحيداً، يجب أن نأخذ في الاعتبار مجموعة العلاقات الموضوعية التي تؤسس الحقل الصحافي بكامله».

ثانيا. انتقادات بيير بورديو للتفاعل التلفزيوني الاجتماعي:

انتقد بورديو التلفزيون، من خلال إنه استعمل بدوره شاشة التلفزيون، لكن ضمن شروط تناسبه لجهة اختيار الموضوع، وامتلاك الوقت الكافي لمناقشته. مع أنه يتيح له ممارسة حقوقه الديمقراطية، فقد طالب بمحاربة الـ Audimat (نسبة إقبال المشاهدين) الذي يعزز ثقافة الـ**"فاست فود"**. كما عبّر عن أمله بأن تنشأ، داخل الجسم الصحافي، علاقات بين الصحافيين تساعد في التخفيف من التأثير السلبي للأدوات التي يمتلكونها. وقدّم مثلاً: (في قضية خطف الأطفال –التي يُتّهم فيها المهاجرون غالباً بشكل أوتوماتيكي–يمكننا أن نتخيّل، أو نحلم، أن يتفق الصحافيون على عدم استضافة زعماء سياسيين معروفين بمواقفهم المسبقة ضد الأجانب).

ويذهب في كتابه «التلفزيون وآليات التلاعب بالعقول»: (أحد المشاكل الكبرى التي يطرحها التلفزيون هي العلاقة بين التفكير والسرعة. هل يمكن التفكير أثناء اللهاث بسرعة؟ وهكذا حصل التلفزيون على مفكرين (على السريع)، عندما أعطى مجال الحديث لمفكرين أجبرهم على أن يفكروا بسرعة متزايدة. مفكرون يفكرون بأسرع من ظلهم)

ثالثا. العلاقة بين الصحافة والتلفزيون عند بيير بورديو:

يعبر بورديو، لواقع العمل الصحافي وكواليس التلفزيون وعلاقات الصحافيين بعضهم ببعض، وبمختلف القوى الاجتماعية.

ينتقد بورديو في الكتاب «الحقل الصحافي» من الداخل والخارج: بدءاً من طريقة الحصول على الخبر ومعالجته، مروراً بالنشرة الإخبارية التلفزيونية التي يصفها بـ «منتج غريب» يناسب الجميع، وصولاً إلى البرامج الحوارية «التمثيلية» التي تستضيف أشخاصاً لا علاقة لهم غالباً بالموضوع المطروح للنقاش، ولا يتساوون في معلوماتهم. «عندما تكتب صحيفة معنية عن كتاب، ستجد صحيفة ثانية نفسها مجبرة على عرض الكتاب ذاته، حتى لو كان سخيفاً. كذلك الأمر لدى الكتابة عن معرض فني أو مسرحية...». يقدم بيار بورديو هذا المثل البسيط ليبرهن تشابه وسائل الإعلام في مضمونها، على رغم التعددية الظاهرة. هذا التشابه سببه دورة الخبر حول نفسه: ينشر في جريدة، فيتلقفه

صحافي في مؤسسة إعلامية ثانية، ويتابعه مضيفاً إليه تفصيلاً صغيراً قد لا تكون له أي أهمية. وهو يفعل ذلك من دون أن يكلّف نفسه عناء البحث عن خبر آخر...[20]

ويردّ بورديو هذا السلوك إلى «المنافسة» بين الصحافيين. منافسة تعزز حالة الطوارئ، وتجعلهم يأتون بخبر خاطئ أو يقدمونه بطريقة تسبب خوفا: «أتمنى أن يسمع الصحافيون ما يقولونه، هم الذين يرمون كلماتهم بكل خفة، من دون أن يكون لديهم أدنى فكرة عن خطورة ما يقولونه، والمسؤوليات التي يجب عليهم تحملها... كلماتهم تثير الخوف والهواجس، وتؤدي في معظم الأحيان إلى تشكيل صور خاطئة عن الحقيقة». التشابه رغم التعددية، تعزيز حالة الطوارئ وبث الأخبار الخاطئة، ليست إلا نقطة في بحر الانتقادات التي يعرضها بيار بورديو، وهي انتقادات قائمة على ملاحظات تفصيلية ليوميات العمل الصحافي وآلياته. يعرضها معترفاً بأنها تحتاج إلى بحث علمي يثبت ما يخلص إليه: التلفزيون وعدد كبير من الصحافيين، هم (معادون للثقافة)، ويمارسون «عنفاً رمزياً» على المشاهدين، فهو يرى أن العمل التلفزيوني مبني على السرعة، لذلك ليس هو المكان الأفضل للتفكير. من هنا، يتم اللجوء في المقابلات المتلفزة إلى «مفكرين سريعين» (fast thinkers) يحملون أفكاراً مسبقة عن الموضوع المطروح، «ولا خوف من مشكلة في التلقي، لأن هذه الأفكار المسبقة يعرفها الجمهور الذي يحصل على وجبة FAST FOOD... ثقافية».[21]

مشكلة السرعة حولت العلاقة بين التلفزيون والصحافة إلى علاقة انتفاعية، الغلبة فيها حكماً للتلفزيون كونه الأوسع والأسرع انتشاراً. ففيما تعمل الصحافة بتأن زمني يستهلك على الأقل 24 ساعة بين تحضير المواد للنشر والطباعة، تدور عجلة البث التلفزيوني كالمطحنة في عملية محو وتسجيل يومي للذاكرة. فكل نشرة أخبار تمحو ما سبقها لتسجل أحداثاً جديدة، تتطلب مجموعة من البرامج المواكبة تحليلاً وتفسيراً. وتحت ضغط الوقت، لا مناص من اللجوء إلى الصحافة، سواء من جانب الاستعانة بالأفكار، أو في اختيار الأشخاص المناسبين لتحليل ما وراء الأخبار. فلا يمكن لأي معد برامج أن يبدأ يوم العمل من دون الاطلاع وبشكل آلي على عناوين الصحف والمقالات المكتوبة.

خاتمة

ينتج العنف الرمزي عن اختلاف أنماط الرأسمال لدى الفاعلين المجتمعيين باختلاف مواقعهم الاجتماعية، ووجود طبقات اجتماعية مسيطرة ومسيطرة عليها، واختلاف مصالح الأفراد والجماعات من حقل إلى آخر، ووجود تفاوت اجتماعي وطبقي بين الجماعات، ومن بين أهم الفاعلين في المجتمع المحلي نجد وسائل الإعلام بصفة عامة و على رأسها الوسائل السمعية بصرية، فوسائل الإذاعة والتلفزيون في الأنظمة الغير الديمقراطية تصنف ضمن إطار الأجهزة المحافظة التي تسعى إلى توفير هيمنة السلطة على الجمهور الواسع من خلال تمرير ثقافة هجنة تسعى إلى تكريس ما هو قائم وتشكيل وعي يومي ساذج لدى المتلقي وهدا هو صميم موضوع بورديو الذي نقد البنية الوظيفية التقليدية في التلفزيون والتي يتم إخراجها بتخطيط من خبراء الإعلام من داخل الكواليس وتمارس يوميا تحت عنوان استراتيجية الإعلام في العهد الجديد، مع انتشار شبكة الانترنت على المستوى العالمي، فهذه الجرعات تتغلغل وتنساب إلى عقول المشاهدين والقراء والمستمعين ومستخدمي الوسائط المتعددة والانترنت الخ. بهدوء وبلا ضجيج على عكس ما كان يتم في السابق. إن المجال مفتوح الآن لعمل دراسات على التوظيف والمضمون الأيديولوجي لكل هذه الوسائل والأدوات وهو ما يقدم له بورديو نموذجاً منهجياً في هذا الكتاب. إن طريقة التحليل التي يقدمها بورديو هنا يمكن تطبيقها على مجالات أخرى.

قائمة الهوامش

[1]–ابن منظور، **لسان العرب**، الجزء التاسع، دار صادر، بيروت، ص229

[2]حسن سعيد الكرمي، **الهادي**، ج3، دار لبنان للطباعة والنشر، بيروت،1993، ص279

[3]احمد مجدي حجازي وشادية علي قناوي، **المخدرات وواقع العالم الثالث: دراسة حالة لاحد المجتمعات العربية**، مجلة القاهرة للخدمة الاجتماعية، المعهد العالي للخدمة الاجتماعية – ج 1 – ع ،1 القاهرة 1995م، ص225.

[4]. طريف شوقي، **العنف في الاسرة المصرية، (تقارير) دراسة نفسية استكشافية**، المركز القومي للبحوث الجنائية –قسم بحوث المعاملة الجنائية، القاهرة، 2000م، ص111.

[5]جبرين علي الجبرين، العنف **الأسري: أسبابه وآثاره وخصائص مرتكبيه**، مؤسسة الملك خالد الخيرية السعودية، الرياض، 1427هـ، ص25.

[6]غسان قاسم اللامي، **إدارة التكنولوجيا (مفاهيم ومداخيل تقنيات تطبيقات علمية)**، دار المناهج، عمان،2006 ص 22.

[7]نوفيل حديد، **تكنولوجيا الإنترنت وتأهيل المؤسسة للاندماج في الاقتصاد العالمي**، أطروحة دكتوراه دولة، (غير منشورة)، كلية العلوم الاقتصادية والعلوم التسيير، جامعة الجزائر،2007/2006 ص ص 51-52.

[8]فيصل دليو، **التكنولوجيا الجديد للإعلام والاتصال**، ط1، دار الثقافة، عمان، 2010 ص26.

[9]سامية محمد جابر، ونعمات أحمد عثمان، **الاتصال والإعلام (تكنولوجيا المعلومات)**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 2000، ص. 108

[10]شريف درويش اللبان، **تكنولوجيا الاتصال المخاطر والتحديات والتأثيرات الاجتماعية**، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 2000، ص. 102.

[11]الشافعي منصور، **مملكة العلم والتكنولوجيا**، ايتراك للنشر، مصر، 2000، ص87.

[12]عامر إبراهيم قنديلجي، إيمان فاضل السامرائي، **تكنولوجيا المعلومات وتطبيقاتها**، الوراق، الأردن، 2002، ط1، ص160.

[13]مراد رايس، **تكنولوجية المعلومات على الموارد البشرية في المؤسسة**، رسالة ماجستير في علوم التسيير فرع إدارة الأعمال، جامعة ال جزائر2006/2005 ص29

[14] ar.wikipedia.org/wiki/15.30 بيير_بورديو لوحظ يوم 2019/01/12 على الساعة

[15]أزراج عمر، **بيير بورديو المجتمع الجزائري مسرح لميلاد النظريات**، جريدة العربة الإلكترونية بتاريخ يوم: الاحد 2018/08/24، ولمعلومات أوفر أنظر: alarab.co.uk بيير-بورديو-المجتمع-الجزائري-مسرح-لميلاد-النظريات /

[16] أليسا دلتا فو، **العنف العائلي**، ترجمة نوال لائقة، دار المدي، دمشق، 1999م، ص113.

[17] Pierre Bourdieu, **La domination masculine**, Éditions du Seuil, paris, 1998, p 88

[18] Pierre Bourdieu et Loïc Wacquant, **Réponses,** Paris, Seuil, 1992, pp : 141-143

[19] www.facebook.com/788636804522785/posts/-العنف-الرمزي-بيير-بورديو-يتحدث-بيير-بورديو-عن-العنف-الرمزي-الذي-هو-عنف-غير-فيزيا/856642971055501/ لوحظ يوم 2019/01/13 على الساعة 12.00

[20] www.facebook.com/788636804522785/posts/-عن-العنف-الرمزي-بيير-بورديو-يتحدث-بيير-بورديو/العنف-الرمزي-الذي-هو-عنف-غير-فيزيا/856642971055501/ لوحظ يوم 2019/01/12 على الساعة 12.00

[21] www.facebook.com/788636804522785/posts/-عن-العنف-الرمزي-بيير-بورديو-يتحدث-بيير-بورديو-العنف-الرمزي-الذي-هو-عنف-غير-فيزيا/856642971055501/ لوحظ يوم 2019/01/13 على الساعة 12.00